الكتب

ديوان الأعشاب

لمحمود أبو الوفا

حديث عن الشعر وعن الديوان

للاستاذ مصطفى صادق الرافعي

في احدى زياراتي للأستاذ مصطفى صادق الرافعي رأيت على مكتبه « ديوان الاعشاب » الذي أخرجه الشاعر المعروف الاستاذ محمود أبو الوفا ، فاكبرت أن أجد هذا الديوان حيث وجدته ، ولكن الاستاذ أثنى عليه وعلى صاحبه ، ثم قال : هلم نقرؤه معا ، وبعد أن استوفيناه ، نقلت عنه هذا الحديث للرسالة الغراء ، قال :

« أبو الوفاء شاعر ملء نفسه ، مافي ذلك شك . مذهبه الجمال في المعنى ، يبدعه كأنما يزهر به ، والجمال في الصورة يخرجها من بيانه ، كما تخرج الغصون والأوراق من شجرتها . وله طبع وفيه رقة ، وهو يجري من البيان على عرق ، وسليقته تجعله ألزم لعمود الشعر وأقرب الى حقيقته ، حتى إنه ليعد أحد الذين يعتصم الشعر العربي بهم ، وهم قليل في زمننا ، فان الشعر منحدر في هذا العصر الى العامية في نسقه ومعانيه ، كما انحدر التمثيل ، وكما انحدرت أساليب الكتابة في بعض الصحف والمجلات .

وللعامية وجوه كثيرة تنقلب فيها الحياة ، ومرجعها الى روح الاباحة الذي فشا بيننا ، ونشأ عليه الناشء في هذه المدنية التي تعمل في الشرق غير عملها في الغرب ، فهي هناك رخص وعزائم ، وهي هنا تسمح وترخص ، في ظل ضعيف من العزيمة . واهمال البلاغة العربية الجميلة كما هي في قوانينها ، ليس الا مظهراً لتلك الروح تقابله المظاهر الأخرى ، من اهمال الخلق ، وسقوط الفضيلة ، وتخنث الرجولة ، وزيغ الانوثة ، وفساد العقيدة ، واضطراب السياسة ، الى ما يجري هذا المجرى مما هو في بلاغة الحياة المبينة كالمرذول والمطرح والسفساف في بلاغة الكلام الفصيح . كل ذلك في مواضعه تحلل من القيود واباحة وتسمح وترخص ، وكل ذلك عامية بعضها من بعض ، وكل ذلك لحن في البلاغة والخلق والفضيلة والرجولة والانوثة والعقيدة والسياسة .

والشعر اليوم أكثره (شعر النشر) في الجرائد ، على طبيعة الجرائد لا على طبيعة الشعر . وهذه اباحة صحافية غمرت الصحف ، وأخضعت أذواق كتابها لقوانين التجارة ، فانهم لينشرون بعض القصائد ، كما تنشر (الاعلانات) لايكون الحكم في هذه ولا هذه لبيان أو تمييز أو منفعة ، بل على قدر الثمن أو مافيه معنى الثمن !

ومن مادية هذا العصر وطغيان العامية عليه ، اننا نرى في صدر بعض الجرائد أحيانا شعرا لا يكون في صناعة الشعر ولا في طبقات النظم أضعف ولا أبرد منه ، ولا أدل على فساد الذوق الشعري ، ولكنه على ذلك الأصل الذي أوهمنا اليه يعد كلاما صالحا للنشر ، وان لم يكن صالحا للشعر .

وهكذا أصبحت العامية في تمكنها تجعل من الغفلة حذقا تجاريا ، ومن السقوط علوا فلسفيا ، ومن الركاكة بلاغة صحفية ، ومتى تغير معنى الحذق ، وداخلته الاباحة ، ووقع فيه التأويل ،

وقد خلى المترجم ترجمته بابيات شعر كثيرة مقتبسة غير التي اضطر الى نظمها ترجمة للاصل الفرنسي الشعري ، وكانت هذه الابيات المقتبسة مما ساعد كثيرا على عدم الانسجام في القصة ، فهي وان كانت في نفس المعنى المساق فيه ، إلا ان بعدها عن روح القصة وجوها جعلها كالانغام النافرة في الموسيقى .

واخيرا لم يكن المترجم فضل في تلك الترجمة الا نقل صورة مهما تكن حالها لقصة يجب ان يطلع عليها كل قارئ لتاريخ الاندلس ، واما فضله حقا فهو في الذيل الذي أتبعه قصته وهو ما لا تتعرض له .

سمير القلماوي

وأحيط بالتمويه والشبه ـ فالريبة حينئذ أخت الثقة ، والعجز باب من الاستطاعة ، والضعف معنى من التمكين ، وكل مالا يقوم فيه عذر صحيح ، كان هو بطبيعة التلفيق عذر نفسه .

وأكثر ما تنشره الصحف من الشعر هو فى رأيى صناعة احتطاب من الكلام . . . وقد بطل التعب ، إلا تعب التفتش والحمل ، فلم تعد هناك صناعة نفسية فى وشى الكلام ، ولا طبع موسوم فى نظم اللغة ، ولا طريقة فكرية فى سبك المعانى ؛ وبهذه العامية الثقيلة أخذ الشعر يزول عن نهجه ، ويضل عن سبيله ، ووقع فيه التوعر السهل . . . والاستكراه المحبوب . . . وصرنا إلى ضرب حديث من الوحشية . هو الطرف المقابل للشعر الوحشى فى أيام الجاهلية . فما دام الكلام غريبا ، والنظم قلقا ، والمأتى بعيدا ، والمعنى مستهلكا ، والنسج لا يستوى ، والطريقة لا تتشابه ـ فذلك كله مسخ وتشويه فى الجملة ، وإن اختلفت الاسباب فى التفصيل . وإذا كان المسخ جاهليا بالغريب من الالفاظ ، والنافر من اللغات ، والوحشى من المعانى ، وكان عصريا بالركيك من الالفاظ ، والنازل من التعبير ، والهجين من الاساليب ، والسخيف من المعانى : ثم بالسقط والخلط والاضطراب والتعقيد ، فهل بعض ذلك إلا من بعضه ؟ وهل هو فى الشعر الجيل إلا كسلخ الانسان الذى مسخه الله فسلخه من معان كان بها إنسانا ، ليضعه فى معان يصير بها قردا أو خنزيرا ليس عليه إلا ظاهر الشبه ، وليس معه إلا بقية الاصل ؟

فالقردية الشعرية ، والخنزيرية الشعرية ، متحققتان فى كثير من الشعر الذى ينشر بيننا ، ولكن أصحاب هذا الشعر لا يرونهما إلا كمالا فى تطور الفن والعلم والفلسفة . وأنت متى ذهبت تحتج لزيغ الشعر من قبل الفلسفة ، وتدفع عن ضعفه بحجة العلم ، وتستل لتصحح فساده بالفن ـ فذلك عينه هو دليلنا نحن على أن هذا الشعر قردى خنزيرى ، لم يستو فى تركيبه ، ولم يأت على طابعه ، ولم يخرج فى صورته ؛ وما يكون الدليل على الشعر من رأى ناظمه وافتتانه به ودفاعه عنه ، ولكن من إحساس قارئه واهتزازه له وتأثره به .

***

والشاعر أبو الوفا جيد الطريقة ، حسن السبك ، يقول على فكر وقريحة ، ويرجع الى طبع وسليقة ، ولكن نفسه قلقة فى موضعه الشعرى من الحياة ؛ وفى رأيى أن الشاعر لا يتم بأدبه ومواهبه حتى يكون تمامه بموضع نفسه الشعرى الذى تضعه الحياة فيه . والكلام يطول فى صفة هذا الموضع ، ولكنه فى الجملة كنبت الزهرة لا تزكو زكاءها ، ولا تبلغ مبلغها الا فى المكان الذى يصل عناصرها بعناصر الحياة وافية تامة ، فلا يقطعها عن شىء ولا يرد شيئا عنها ؛ اذ هى بما فى تركيبها وتهيئتها إنما تتم بموضعها ذاك لتهيئته وتركيبه . فان كانت الزهرة على ما وصفنا ، وإلا فلا بد من مرض اللون ، وهرم العطر ، وهزال النضرة ، وسقم الجمال .

ولولا أن الحكمة وقت الاستاذ ابا الوفا قسطه من الألم ، ووهبته نفسا متألمة حصرتها فى اسباب ألمها حصرا لا مفر منه ـ لفقدت زهرته عنصر تلوينها ، ولخرج شعره نظما حائلا معتطربا منقطع الاسباب من الوحى ؛ غير أن جهة الألم فيه هى جهة السماء اليه ؛ ولو هو تكافأت جهاته المعنوية الأخرى ، وأعطيت كل جهة حقها ، وتخلصت مما يلابسها ـ لارتفع من مرتبة الألم الى مرتبة الشعور بالغامض والمبهم ، ولكان عقلا من العقول الكبيرة المولدة التى يحيا فيها كل شىء حياة شعرية ذات حس .

ولكن مادامت الحياة قد وزنت له بمقدار ، وطفقت مع ذلك وبخست ، فقد كان يحسن به أن يقصر شعره على أبواب الزفرة والدمعة واللهفة ، لا يعدوها ، ولا يزاول من المعانى الأخرى ماضعفت أداته معه أن تتصرف ، أو انقطعت وسيلته اليه أن تبلغ . ويظهر لى أن أبا الوفا يحذو على حذو اسماعيل باشا صبرى ، وهو شبيه به فى أنه لم تفتح له على الكون الا نافذة واحدة ؛ غير أن صبرى أقبل على نافذته ونظر ماوسعه النظر ، اما ابو الوفا فيحاول أن ينقب فى الحائط ليجعلها نافذتين . . . .

اما انه ليس من الشعر أن تنزل الحيرة الفلسفية عن منزلتها بين اليقين والعقل ، أو المشهود والمحجب ، أو الواقع والسبب ، أو الرسم والمعنى ـ فتنقلب حيرة معاشية تسم الاشكال والمعانى بسمتها المادية الترابية ، وتقع فى الشعر فتقحم بين شعر القلب العاشق ، وشعر الفكر المتأمل ـ شعر المعدة الجائعة ، وتضع بين أشواق الكون شوقها هى الى الطعام والثياب والمال . . . .

على أنه كان الأمثل فى التدبير ، والأقرب إلى طريقة النفس

الشاعرة أن يصرف أبو الوفا هذا الشعور المادى الذى يتلذع به فيحوله فيجعله بابا من حكمة السخر الشعرى بالدنيا وأهلها وحوادثها ، كما صرفه ابن الرومى من قبل فأخطأ فى تحويله ، فجعله مرة بابا من المدح والنفاق ، ومرة بابا من الهجاء والاقذاع .

ولو بذل الشاعر أبو الوفا مجهوده فى ذلك ، واتهم الدنيا ثم حاكمها ، ونصب لها القانون ، وأجلس القاضى ، وافتتح المجلس ، ورفعها قضية قضية ، ثم أخذها حكما حكما ، تارة فى نادرة بعد نادرة ، ومرة فى حكمة إلى حكمة ، وآونة فى سخرية مع سخرية - إذن لاهتدى هذا المتألم الرقيق إلى الجانب الآخر من سر الموهبة التى فى نفسه ، فأخرج لنا من هذه الناحية القوية منها ، فكان ولا ريب شاعر وقته فى هذا الباب ، وإمام عصره فى هذه الطريقة .

على أن فى صفحات ديوانه أشياء قليلة تومىء إلى هذه الملكة ، ولكنها مبثوثة فى قصاعيف شعره ، والوجه أن يكون وجهه فى قصاعيفها . وإنه ليأتى بأسمى الكلام وأبدعه ، حين يعمد إلى ذلك الأصل الذى نبهنا إليه ، فيصرف لهفة نفسه إلى بعض وجوهها الشعرية ، كقوله فى « حلم العذارى » وهى من بدائعه ومحاسن شعره :

هاهما عيناك تغريـ ـنى على شتى الظنون
فيهما بحر وموج وسهول وحزون
ووضوح وغموض واضطراب وسكون
ومعان بينات ومعان لا تبـين
وتهاويل فنون من رشاد وجنون
وأشعاب حيارى بين منى أو من حنين
ليت شعرى أى سر خلف هاتيك الجفون
آه إن السر أنبا عنه ذان الطائران
حينما مالا على غـ ـصنيهما يعتنقان . . .

فهذه أبيات فى شعر الجمال كالمحراب ملؤه عابده . . . اه ،

محمد سعيد العريان

خريج دار العلوم

يتيمة الدهر

للإمام أبى منصور عبد الملك الثعالبى النيسابورى

أجمع كتب الثعالبى يطبع لأول مرة طبعة مصححة على ورق جيد ويقابل على عدة نسخ خطية

والكتاب من أوسع المراجع الأدبية التى ألفت فى القرن الخامس الهجرى . فيه تراجم واسعة لنحو خمسمائة أديب من عصر الثعالبى ومن سبقهم قليلا من شعراء وأدباء الشام والبصرة والعراق وما وراء النهر وفارس والجبل والاهواز وجرجان وطبرستان ومصر والمغرب والأندلس وهو على عنايته بالمشهورين من الشعراء يعنى بالمغمورين منهم ، وفيه أيضا كثير من النوادر المضحكة والملح المستعذبة والمقطوعات الغنائية الرقيقة ، والى ذلك تجد فيه الثعالبى يتعقب الشعراء ويميز خبيث شعرهم من الطيب ، بذلك جدير بأن يشبع رغبات الناس جميعا والكتاب يقع فى أربعة أجزاء ، وقد ظهر الجزء الأول والثانى وثمنهما عشرون قرشا صاغا ، والثالث والرابع بثمانية قروش للجزء مادام تحت الطبع . بادروا باشتراك قبل نفاد النسخ أو ارتفاع السعر ، ويباع فى المكتبة الحسينية المصرية بالأزهر .

ديوان ابن حنظل

أصدر الزجال الرقيق محمد كامل أمين ابن حنظل الجزء الثانى من ديوانه ، وهو يشتمل على أروع الأزجال وابلغها أثرا فى تقويم الخلق ، يطلب من مؤلفه بسنورس - فيوم ، ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ٢٥ مليما

جريدة الوفاق

دخلت جريدة الوفاق التى تصدر أسبوعيا عن بلقاس سنتها السابعة مزهوة بما ابلت فى ماضيها الطاهر من تقويم الخلق ونشر الثقافة بقلم صادق اللهجة وخطة نبيلة الغاية . فنرجو للزميلة الكريمة اطراد النجاح ودوام التوفيق .